



مدن في الثورة

درعا

زهرة الجنوب

الباحث: صبر درويش
مدير المشروع: محمد ديبو

بدعم من:



فهرس

2	فهرس
4	مقدمة
6	الباب الأول: زمن التحولات
6	جنوب البلاد يصدح للحرية.....
7	شهداء المدينة يوقظون أحيائها.....
10	تصعيد المواجهات... الطريق إلى الثورة.....
13	تصعيد وأرتال عسكرية تحتل المدينة.....
15	حصار درعا.....
17	الباب الثاني: زمن المقاومة
17	تحولات كبرى... مظاهرات وأولى مجموعات الجيش الحر.....
19	أهم التشكيلات العسكرية.....
20	الجبهة الجنوبية آخر تكوينات الجيش الحر.....
21	الرؤية السياسية للجبهة الجنوبية.....
23	أهم تشكيلات الجبهة الجنوبية.....
24	مآلات الجبهة الجنوبية.....
25	الباب الثالث: منظمات المجتمع المدني
25	تجمع فرح التطوعي.....
27	منظمة أضواء سورية.....
28	الهيئة العامة للدفاع المدني.....
29	فريق إصرار التطوعي.....
31	منظمة غصن زيتون.....
36	خاتمة
37	منهجية البحث

39	فريق العمل
40	مدن في الثورة
42	حكاية ما انحكت

مقدمة

من درعا جنوب البلاد، هبّت أولى نسائم الحرية على السوريين المقموعين لعقود طوال، ومن جنوب البلاد، علت أولى الهتافات: "الموت ولا المذلة"، فباتت مقدمة لما يريده المنتفضون في وقت لاحق.



دخلت محافظة درعا، التي تبعد عن العاصمة دمشق حوالي المائة كيلو متر، التاريخ بقوة، فكانت أولى المدن المنتفضة على حكم الأسد، وعلى ترابها سقط أول شهيد من أجل الحرية والكرامة، وإلى درعا كانت عيون السوريين تنو في كلّ لحظة، تطمئن على أنّ المنتفضين هناك قد حسموا خياراتهم، وقرروا إسقاط النظام.

في هذه الورقة نقدم للقارئ "منمنمات" حول سياقات الحراك الثوري في مدينة درعا، عبر السنوات القليلة الماضية، محاولين إلقاء الضوء على أهم المحطات التي ميّزت هذا الحراك وشكّلت فيه علامة فارقة، هذا أنّ المدينة وريفها تغصّ بالتفاصيل، ومن الصعب الإحاطة بها جميعها في ورقة واحدة، فاخترنا تركيز البحث على المدينة دون الريف، لا بسبب تفاضل الأهمية، بل كان ذلك لأسباب تقنية إذا جاز التعبير، فالريف، ريف درعا، يحتاج إلى بحث -إذا لم نقل أبحاث- مفصّل ومنفرد، يتفرّع إلى

لملحة تفاصيل الحكاية وسيرورات الحراك الثوري فيه، لذا قرّرنا العمل على المدينة وتحولات الحراك الثوري فيها، عسى أن نتمكن من سدّ ثغرة في نقص المعلومات الذي يعاني منه الحراك الثوري في عموم سوريا.

وتبقى تجربة رواية تفاصيل الحكاية، محفوفة بالمخاطر، هذا أن الشهود من أبناء المدينة، كان من الصعب الوصول إليهم، وبعضهم الآخر شرّدتهم الظروف القاهرة التي فرضت على مجمل السوريين، وباتوا منتشرين في أصقاع الأرض شمالها وجنوبها. من أجل كلّ هذا، سعى فريق البحث إلى تَوْخِي الحذر الشديد في عرض الحقائق، محاولين تدقيق المعلومات والشهادات التي حصلنا عليها، ساعين بقدر ما أتيج لنا، إلى عرض الحكاية بأقرب ما يكون إلى الحقيقة التي لا ندعي امتلاكها. ويبقى العمل، ورغم كل الجهود المبذولة، عبارة عن خطوة بسيطة باتجاه توثيق تفاصيل الحكاية السورية وسيرورات التحولات التي شهدتها عبر السنوات القليلة الماضية.

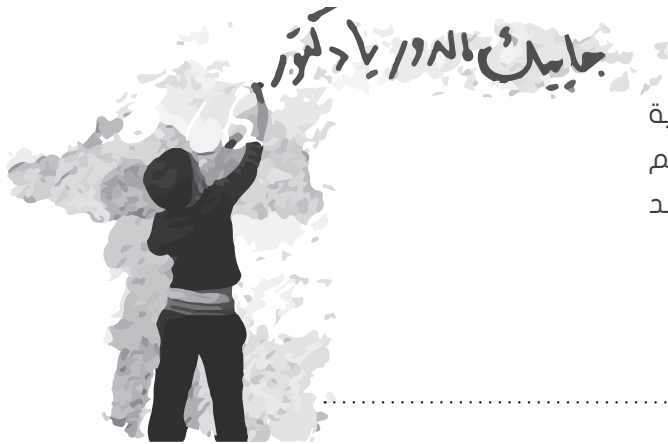
الباب الأول: زمن التحولات

جنوب البلاد يصدح للحرية

عندما صرخ أبناء مدينة درعا جنوب البلاد "الموت ولا المذلة" لم يكن يخطر ببالهم في تلك الأثناء أن صرختهم هذه ستوقظ السوريين من سباتهم، وستكون فاتحة لسلسلة من التغيرات التي ما كان لأحد أن يتنبأ بها، بما فيهم المنتفضون أنفسهم.

قد تبدو الأحداث التي سبقت انتفاضة الثامن عشر من آذار سنة 2011، مشوشة ويدور حولها الكثير من الجدل، إلا أن الشيء الذي يتفق عليه السوريون اليوم، وتحديدًا أولئك الذين انتفضوا على حكم الأسد، هو أن أطفالاً من مدينة درعا كانوا شرارة التغيير في سوريا، عندما كتبوا على جدران مدرستهم: "إجاك الدور يا دكتور" في إشارة إلى رئيس البلاد، و"الشعب يريد إسقاط النظام".

بحسب السرديات السورية التي تناولت تفاصيل الأحداث التي سبقت خروج أول مظاهرة في مدينة درعا، وبالاستناد إلى شهادة السيدة هند مجلي¹، فإن الحدث المباشر الذي فجر غضب أهالي درعا، كان نتيجة اعتقال أجهزة المخابرات السورية لمجموعة من التلامذة "الدرعاويين" من صفوفهم الدراسية، وذلك على ضوء اتهامهم بكتابة عبارات مناهضة لنظام الأسد على جدران مدرستهم. وبحسب هند تراوحت أعمار هؤلاء التلاميذ بين الأحد عشر عاماً والخمسة عشر عام، بينما كان من بين الأطفال المعتقلين شاب صغير واحد عمره لم يتجاوز التاسعة عشر عاماً. وبالمجمل وصل عدد الأطفال المعتقلين في ذلك الوقت إلى حوالي 25 طفلاً.



الحدث الأول اعتقال أجهزة المخابرات السورية لمجموعة من التلامذة "الدرعاويين" من صفوفهم الدراسية، لأنهم كتبوا عبارات مناهضة لنظام الأسد على جدران مدرستهم.

1- شهادة حصل عليها الباحث من الناشطة والمعتقلة السابقة السيدة هند مجلي، من محافظة درعا، بتاريخ: أيار 2016.

الحث الثاني قيام مجموعة من الأولاد بالاعتداء على حارس أمّني على إحدى النقاط الأمنية، وحرّقها من قبلهم، ليتم اعتقالهم والتحقيق معهم وتعذيبهم.



أما الحادثة التي لطالما تمّ إغفالها، أنّه، وبحسب السيدة هند، مع كتابة التلاميذ لبعض العبارات المناهضة لنظام الأسد، تزامن قيام مجموعة أخرى من الأولاد بالاعتداء على حارس أمّني كان متواجداً على إحدى النقاط الأمنية في مدينة درعا، وتمّ حرق هذه النقطة الأمنية من قبلهم، وجرى فيما بعد، وبالتزامن مع اعتقال التلاميذ اعتقال هؤلاء الأطفال أيضاً، والتحقيق معهم، حيث تعرّضوا للتعذيب والإهانة، وهو فعلياً ما أثار موجة من الغضب بين أوساط أهالي المدينة.

وخلال الأسابيع التي سبقت أحداث الثامن عشر من آذار من ذلك العام، سعى أهالي الأطفال، وبمساندة من قبل العديد من الشخصيات المرموقة في المدينة، إلى التواصل مع قادة أجهزة المخابرات في المدينة، وعلى رأسهم عاطف نجيب رئيس فرع الأمن السياسي، والذي كان مسؤولاً عن هذا الملف، من أجل الإفراج عنهم وإطلاق سراحهم، إلا أنّهم فشلوا بذلك، وأصرّ عاطف نجيب على الاحتفاظ بالأولاد في المعتقل، وأكثر من ذلك، قام نجيب بتوجيه الإهانات لأهالي التلاميذ المعتقلين، وإذلالهم، وهو عملياً ما دفعهم إلى إشهار شعارهم التقليدي: "الموت ولا المذلة"، في إشارة إلى غضبهم الشديد ورفضهم للإهانة أياً يكن مصدرها، وهو بالضبط ما دفع بأهالي مدينة درعا (ذات الطبيعة العشائرية) إلى الخروج إلى الشارع في الثامن عشر من آذار سنة 2011، هاتفين بأعلى صوتهم: الموت ولا المذلة، في تحدٍ واضح للسلطات الأمنية في المدينة.

شهداء المدينة يوقظون أحيائها

منذ عام 2011، لم تشهد سوريا سقوط ضحايا على يد قوات الأسد بشكل علني، كما أنّ الأجيال التي ترعرعت في ظل عقود حكم الأسد، لم تختبر في يوم من الأيام شيئاً اسمه: "المظاهرة"، وتحديداً تلك المناهضة لحكم الأسد، وكلّ ما هنالك، عرفت الأجيال عبر السنوات السابقة فكرة "المسيرات" الشعبية المؤيدة للنظام، والتي كانت تفرض على أبناء الشعب السوري فرضاً.

2- عام 1982، وهو العام الذي يشير إلى تاريخ المجزرة التي ارتكبتها قوات الأسد ضد الأهالي في مدينة حماه وسط البلاد، أثناء صراعها مع تنظيم الإخوان المسلمين السوري، في الثاني من شباط من ذلك العام.

ربما من هنا تكمن أهمية الثامن عشر من آذار سنة 2011، في أنه اليوم الذي خرج فيه السوريون في أولى مظاهراتهم ضدّ نظام الأسد، وسيرى السوريون بأّمّ العين كيف أنّ "الجيش الوطني" المعروف بالجيش العربي السوري، كيف يطلق النار على المدنيين السلميين ويسقط في أوساطهم العديد من الجرحى والقتلى³.

بحسب "هند"، سعى الأهالي للتوسط لدى رجل المخابرات عاطف نجيب من أجل الإفراج عن أبنائهم، وفشلت كل هذه الجهود في التوصل إلى حلّ، وبسبب ذلك، قرّر المجتمع المحلي في مدينة درعا، الخروج بمظاهرة للضغط على أجهزة الأمن في المدينة، وإجبارهم على الإفراج عن الأطفال المعتقلين في أقبية السجن.

وفعلًا، وبعد انتهاء صلاة يوم الجمعة، بعد منتصف الظهر من ذلك اليوم، خرج المصلون من جامعي "أبي بكر" و"بلال" من درعا البلد، متوجّهين إلى المسجد العمري، والذي احتشد فيه أيضاً أعداداً من المصلين من أهالي الأولاد المعتقلين، وكان من الواضح أنّ قراراً كان قد اتخذ بضرورة الخروج بمظاهرة للمطالبة بالإفراج عن الأولاد.

توجّهت حشود المصلين وأهالي المدينة نحو مبنى الفرقة الحزبية في المدينة. وفي ذلك اليوم، وبحسب شهادة بلال الغمرة⁴، كان التواجد الأمني كبيراً، يفصل بين قسمي المدينة: درعا البلد والتي يتواجد فيها جامع العمري، مركز تجمع الأهالي، ودرعا المحطة، والذي يتواجد فيه مؤسسات الدولة بما فيها مقرّات الأجهزة الأمنية.

احتشد الأهالي بالقرب من مقرّ المخابرات الذي يقوده "عاطف نجيب"، وحاولوا التواصل مع ضباط



محمود جوابرة



حسام عيّاش

الفرع الأمني، عسى يستجيبوا لمطالبهم؛ إلا أنّ بعض العناصر الأمنية قامت بفتح النار على حشود الأهالي السلميين، وأسقطت بينهم العديد من الجرحى والقتلى، وسقط في تلك اللحظات أوّل شهيدين في الثورة السورية، وهما: حسام عيّاش ومحمود جوابرة، وهما شابين في العشرينيات من عمرهم. وكانت هذه الحادثة

³- شريط فيديو يظهر القمع الأمني الكثيف لأول مظاهرة خرجت في درعا بتاريخ 18-3-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=rnCJ5K1tKXE>

⁴- شهادة حصل عليها الباحث من بلال الغمرة، وهو مدرس من بلدة تسيل في ريف درعا، تاريخ: ربيع 2016.

18 آذار 2011



خرجت أول مظاهرة من جامعي "أبي بكر" و"بلال" من درعا البلد وتوجهت إلى المسجد العمري، ومقر المخابرات، فقامت العناصر الأمنية بفتح النار و سقط أول شهيدين في الثورة السورية وهما: **حسام عيَّاش و محمود جوابرة.**

عملياً إيداناً بتصعيد المواجهات بين الأهالي من جهة، وأجهزة المخابرات في درعا من جهة أخرى⁵. تمكّن الأهالي من نقل الجرحى إلى جامع العمري وبعض المستشفيات القريبة، بينما سجّيت جثامين الشهداء في باحة الجامع، واحتشد عشرات الآلاف من أبناء درعا المصدومين من هذا العنف الذي مارسه الأجهزة الأمنية بحقهم، وأسقطت بين أوساطهم العديد من الجرحى والقتلى.

لا شيء يثبت بأن حراك الأهالي في تلك اللحظات كان منظماً أو أنه يخرج عن إطاره العفوي، وأن كل ما تلى سقوط الشهداء كان أيضاً يندرج في إطار ردود الأفعال العفوية: سلسلة إهانات بحق الأهالي ومن ثم عنف غير مبرر بحقهم، تلاه إصرار من قبل المنتفضين على عدم السكوت ومواجهة صلف الأجهزة الأمنية وممارساتها الفاشية.

في باحة جامع العمري، اجتمع الأهالي، والذهول يسيطر عليهم، ممزوجاً بغضب شديد من قبل الشبان، الذين لم يستطيعوا استيعاب ما جرى. ومع انتشار خبر المواجهات وسقوط جرحى وشهداء

19 آذار 2011

اجتمع عشرات الآلاف من أبناء القرى وتوجهوا إلى مدينة درعا للمشاركة في تشييع الشهداء.



⁵- لمزيد من التفاصيل، راجع موقع رموز الثورة السورية على الويب، على الرابط الإلكتروني: <http://cutt.us/Lxvc7>

بين أوساط المتظاهرين في عموم ريف محافظة درعا بداية، وعموم سوريا تالياً، امتدّ الغضب ليشمل قطاعات واسعة من الشعب السوري. بداية في ريف درعا، وتالياً في عموم المدن السورية.

تجمّع في تلك الأثناء، في التاسع عشر من آذار سنة 2011، عشرات الآلاف من أبناء القرى الذين توجّهوا إلى مدينة درعا، واجتمعوا في جامع العمري، للمشاركة في تشييع الشهداء، بينما الترقّب كان يسود أغلب القرى التي لم تتمكّن من الوصول إلى المدينة والمشاركة في التشييع.

تصعيد المواجهات... الطريق إلى الثورة

إنّ الأهمية التي تكتسيها أحداث درعا الأولى، تكمن في أنّها سرعان ما تجاوزت حدود المدينة لتتحوّل إلى حالة غليان عامة طالت أماكن مختلفة من سوريا. وإذا ما رجعنا إلى التوثيقات المختلفة التي رصدت الحراك السوري منذ بدايته، سنلاحظ أنّه في تاريخ الخامس والعشرين من شهر آذار 2011، أي بعد أسبوع واحد فقط من المظاهرة الأولى في درعا، خرجت العشرات من المظاهرات في مدن وبلدات مختلفة من سورية. في محيط العاصمة دمشق، وفي دير الزور، وفي بانياس، وحماه، وغيرها العشرات من نقاط التظاهر، وجميعها هتفت في تلك الأثناء لدرعا، وأعلن من خلالها المتظاهرون عن دعمهم للمنتفضين فيها.

كتب لدرعا، وأتيح لها عملياً أن تكون رأس حربة الحراك الثوري المندلح في سوريا، وكانت عيون السوريين في تلك اللحظات ترنو باتجاه الجنوب، وتنتظر إلى ما ستفضي إليه الأمور. ولم يخذل المنتفضون في درعا السوريين، واستمر المنتفضون بتحدّي أجهزة القمع في المدينة رغم سقوط الجرحى والشهداء في أوساطهم، واندلعت في الخامس والعشرين من شهر آذار سنة 2011 مظاهرات عارمة، زاد من زخمها انتفاضة أغلب ريف المحافظة، وانضمامه إلى المنتفضين في محيط جامع العمري.

بعد تشييع الضحايا في يومي 19 و20 من شهر آذار، تحوّل جامع العمري، ولأسباب مختلفة، إلى بؤرة تجمّع الحراك الثوري في المدينة وريفها. ففي تلك الأيام، تحوّل الجامع إلى مستشفى ميداني، نقل إليه أغلب المصابين على يد قوات الأمن السوري، والذين تلقوا العلاج فيه على أيدي أطباء متطوعين من أبناء المدينة. كما أصبحت ساحة الجامع، ملتقىً لآلاف الحشود من أهالي المحافظة، بينما علّقت صور الشهداء وصور المظاهرات على سور الجامع، ليجعل كلّ هذا من جامع العمري رمزاً من رموز الثورة الوليدة.

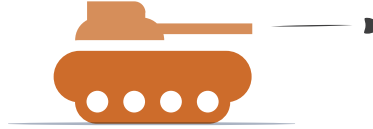
19 - 20 آذار 2011



تحول الجامع العمري إلى مشفى ميداني وملقى لآلاف الحشود.

22 - 23 آذار 2011

قامت قوات الأمن باقتحام الجامع وفتحت النار على المحتشدين.



من أجل كل هذا، سارعت قوات الأسد، إلى محاولة ضرب هذا الرمز، بما يعني ذلك ضرباً لقوى الانتفاضة، وفعلياً وبتاريخ 2011-3-22/23، قامت قوات الأمن السوري وقطعات تابعة للجيش النظامي، باقتحام جامع العمري⁶، وفتحت النار على المحتشدين، وسقط في ذلك اليوم العشرات من الجرحى والقتلى، ودخل جنود الأسد حرم الجامع، وعاثوا فيه فساداً وتخريباً بالملكات، وتمّ تصوير الجامع من قبل إعلام النظام، باعتباره بؤرةً لتجمّع "الإرهابيين"، وصوّرت بعض الأسلحة الآلية في قاعة الجامع، وبعض العملات وأجهزة الاتصال الفضائية، وألصقت تهمة الإرهاب منذ ذلك اليوم بالمنتفضين⁷.

رغم التواجد الأمني الكثيف، ورغم انتشار الحواجز بشكل مكثف لمنع أهالي الريف من دخول المدينة، إلا أنّ المنتفضين من أبناء القرى والذين هبّوا لنجدة إخوانهم في الجامع العمري. وبحسب بلال الغمرة، سعى الأهالي في ريف درعا إلى التجمّع من أماكن مختلفة والسير باتجاه مدينة درعا لمؤازرة أهلها والوقوف إلى جانبهم، أمّا القرى والبلدات التي لم يتمكن الأهالي فيها من الذهاب باتجاه درعا،

⁶ شريط فيديو يظهر اقتحام قوات الجيش السوري لجامع العمري، بتاريخ: 2011-3-23، <https://www.youtube.com/watch?v=8SSZLHu3rf0>

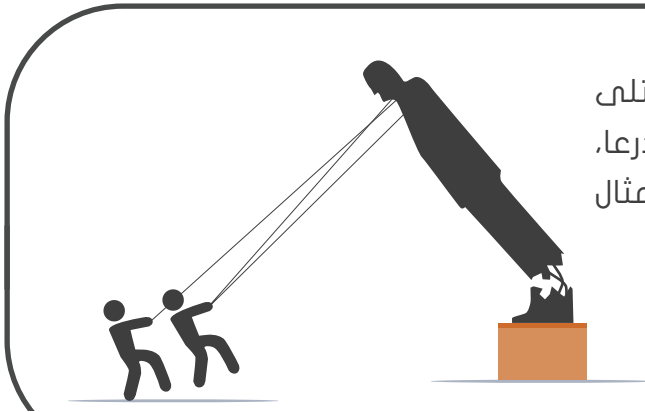
⁷ من بين بعض أسماء الذي استشهدوا في ذلك اليوم: الطبيب علي المحاميد، محمد أبو العيون، حميد أبو نيوت، وظاهر مسالمة، بالإضافة إلى السيدة ابتسام مسالمة.

فقد قام الناشطون بالخروج بمظاهرات في مناطقهم، وهدتفوا ضد النظام وأجهزته الأمنية، وفي أغلب الحالات، وقفت الأجهزة الأمنية والبوليس في هذه المناطق عاجزين عن الإتيان بأيّ فعل، بسبب ضخامة الحشود، وما سببته من مفاجأة لهم لم يكن يحسب حسابها.

تشير جميع هذه الأحداث، إلى أنّ ما جرى في الثامن عشر من آذار في مدينة درعا، كان أشبه بلعبة الدومينو، إذ سرعان ما شملت الانتفاضة كافة مناطق محافظة درعا، وهو ما أعطى مزيداً من الزخم للمتفضين في مدينة درعا، ودفعهم إلى مزيد من التصعيد ومواجهة قوى الأمن في المدينة.

في الخامس والعشرين من شهر مارس آذار 2011، وفي ظلّ تصعيد شامل من قبل المتفضين، وردت أنباء إلى أهالي مدينة درعا بسقوط العشرات من الجرحى والقتلى في مدينة الصنمين في ريف درعا، بعد خروج الأهالي بمظاهرات دعماً لأهالي درعا المدينة، وهو ما أدى إلى تصعيد الغليان في مدينة درعا، ودفع بالأهالي إلى إسقاط تمثال الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد⁸.

25 آذار 2011



سقوط العشرات من الجرحى والقتلى في مدينة الصنمين في ريف درعا، مما دفع الأهالي إلى إسقاط تمثال الرئيس الراحل حافظ الأسد.

كان إحراق التمثال مؤشراً إلى أنّ الأمور في سوريا، قد ذهب في منعطف لا رجعة عنه، وكانت صفة مؤلمة لقوى الأمن والمخابرات، والتي لم تشهد أيّ حراك جدّي ضدها خلال العقود القليلة الماضية، مما دفع وبحسب العديد من التوثيقات، بماهر الأسد شقيق الرئيس الحالي بشار الأسد⁹، وقائد الفرقة الرابعة سيئة الصيت، بالقدوم إلى مدينة درعا، ومعه حشود من المدرعات وقوى الجيش. وقد يكون هذا

⁸ شريط فيديو يظهر إسقاط تمثال حافظ الأسد في درعا، بتاريخ: 2011-3-25، https://www.youtube.com/watch?v=9flGn0y2_d0

⁹ لمزيد من الاطلاع، راجع مقال بعنوان: "ضابط منشق يكشف لـ«القدس العربي» أسرار ارتباك النظام عند بدء الثورة في درعا"، حسام محمد، القدس العربي، تاريخ: 10 نوفمبر 2014، على الرابط: <http://www.alquds.co.uk/?p=247954>

التاريخ، رغم أنه ما يزال في الأيام الأولى للانتفاضة، هو أول مشاركة علنية وقوية للجيش النظامي في قمع الانتفاضة الشعبية المدلعة في درعا وريفها.

تصعيد وأرتال عسكرية تحتل المدينة

شكلت حادثة إسقاط التمثال، وتصاعد المظاهرات في درعا وريفها، استفزازاً وتحدياً مباشراً لنظام الأسد، ودفعته إلى الزج بقواته العسكرية، وتحديداً قوات النخبة، لمواجهة هذا الأمر، وكان من الواضح أن خيار نظام الأسد، لا يخرج عن إطار الخيار الأمني، والذي يعني تشديد القمع، ومنع الانتفاضة من الاستمرار والتسرّب خارج حدود محافظة درعا، كان العمل يجري في تلك الأثناء على وأد الانتفاضة في أرضها.

وبحسب شهادة هند مجلي، منذ المظاهرة الأولى¹⁰، شوهد هبوط نحو ستة عشر طائرة هيلوكوبتر عسكرية، تحمل العشرات من جنود النخبة التابعة لقوات الأسد، واستقدام العشرات من المدرعات العسكرية إلى داخل مدينة درعا. بينما تشير شهادات أخرى¹¹، إلى انتشار قناصة النظام بأعداد كبيرة، منذ الأسبوع الأول للمظاهرات في درعا، وهذه القوات، هي التي كان لها لاحقاً الدور الأكبر في قمع المتظاهرين وإسقاط الضحايا في صفوفهم.

لم تنجح قوى المخابرات السورية، والمدعمة بكتائب من الفرقة الرابعة بقيادة ماهر الأسد، ورغم كل العنف الذي مارسته بحق أهالي درعا، من

السيطرة على الأوضاع في المدينة، ومنع الأهالي من الخروج في مظاهرات حاشدة ومناهضة لحكم الأسد، مما أدى إلى اتخاذ قرار اقتحام المدينة بأرتال من الجيش وعناصر المخابرات بتاريخ 2011-4-25.

في هذا التاريخ، دخلت أرتال الجيش والمدرعات أحياء مدينة درعا البلد، وقصفت المدينة بالسلاح الثقيل، وشنّت الأجهزة الأمنية حملات اعتقال

25 نيسان 2011

تم اقتحام المدينة وقُصفت بالسلاح الثقيل وانتشر المئات من القناصة على أسطح المباني الحكومية وبعض منازل المدنيين، وسقطت العشرات من الجرحى والقتلى.



¹⁰ - شريط فيديو يظهر طائرات الهيلوكوبتر العسكرية وهي تحط محملة بالجنود في ساحة الملعب البلدي في درعا، بتاريخ 18-3-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=f425H-g8iJ0>

¹¹ - شهادات حصل عليها الفريق الميداني من مجموعة من الناشطين والمنشقين عن الجيش والذين فضلوا عدم ذكر اسمهم.

واسعة في أوساط المدنيين، واعتبر كلُّ شاب ذكر من المدنيين، متهم ومطلوب القبض عليه واعتقاله. وسقط خلال اللحظات الأولى من الاقتحام، العشرات من الجرحى والقتلى، وبحسب العديد من الشهادات لعب "القناصة" التابعين لنظام الأسد الدور الأكثر رعباً في ارتكاب الجرائم بحق المدنيين، وبحسب هيومن رايتس ووتش "أفاد عدد من الشهود بشكل متشابه بتواجد القناصة فوق أسطح البنايات الحكومية بالقرب من التظاهرات، استهدفوا وقتلوا العديد من المتظاهرين. الكثير من الضحايا، كما وصف الشهود لـ هيومن رايتس ووتش وكما يظهر من مقاطع الفيديو والصور من الكثير من الهواتف النقالة المهزّبة إلى خارج درعا، أصيبوا في الرأس والرقبة والصدر، مما يوحي بأنه قد تمّ استهدافهم عن عمد"12.

وفي حمأة الغضب والرغبة بالدفاع عن النفس، أشهر بعض شبان درعا السلاح في وجه القوات المقتحمة، وجرت اشتباكات بين أفراد من أهالي درعا من جهة، وقوات الجيش المدجّجة بالسلاح من جهة أخرى، وسقط حوالي 25 قتيلاً في صفوف قوات الجيش، بينما تجاوز عدد الضحايا في صفوف المدنيين التسعين شخصاً، كما تمكّن المنتفضون في تلك الأيام من أواخر شهر نيسان من حرق عدد من المباني الحكومية التابعة لأجهزة المخابرات، وإحراق عدد من المركبات العسكرية، وقتل بعض أفرادها13.

لا يمكن اعتبار تلك الأحداث وكأنّها مواجهات مسلحة بين المدنيين من جهة، وقوى الجيش من جهة أخرى، فلم يتجاوز عدد حملة السلاح من المدنيين في تلك الأثناء بضعة عشرات، ولم يكن

أشهر بعض شبان درعا السلاح في وجه القوات المقتحمة وسقط حوالي 25 قتيلاً في صفوف قوات الجيش وتجاوز عدد الضحايا في صفوف المدنيين 90 شخصاً.



بحوزتهم سوى أنواع خفيفة من السلاح الفردي، وهم لذلك لم يتمكنوا من وقف اقتحام الجيش والتصدي له، مما يجعل من حمل هؤلاء الشبان للسلاح لا يعدو أن يكون ردة فعل غاضبة، ومحاولة يائسة لحماية المدنيين، واستكملت قوات الجيش اقتحامها للمدينة، وفيما بعد تمكنت من ضرب حصار

12- لمزيد من التفاصيل، راجع تقرير هيومن رايتس ووتش الصادر بتاريخ: 1-6-2011، على الرابط التالي: <http://cutt.us/sRldy>

13- شريط فيديو يظهر إحراق عربة تابعة لقوى المخابرات السورية، بتاريخ: 8-4-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=FmZfW2Km75I>

عليها، أدى إلى ارتكاب العديد من الجرائم بحق المدنيين، وتراجع الحراك الشعبي من تجمعات ومظاهرات، عجزت عن مواجهة الدبابات بالصدور العارية.

نجح نظام الأسد في تلك اللحظات من ربيع عام 2011 في قمع الحراك الشعبي في مدينة درعا، إلا أنّ الأمور كانت قد خرجت من يديه في باقي البقاع السورية، ولم يعد الأمر مقتصرًا على درعا مهد الثورة، بل باتت سوريا في كل جغرافيتها مساحة للانتفاضة التي تحوّلت وخلال وقت قصير إلى ثورة امتدت على كامل المساحة السورية.

حصار درعا

في حوالي الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة 2011، اتخذ نظام الأسد قراراً باقتحام مدينة درعا، بعد أن عجزت أجهزته القمعية من قمع الحراك الثوري فيها. استخدمت قوات النظام في عملية الاقتحام قطع الجيش والعشرات من المدرعات العسكرية والدبابات وأنواع مختلفة من الأسلحة الثقيلة، مدعمة بقوات من النخبة ومن مختلف الأجهزة الأمنية، التي شاركت بمجملها في هذه العملية. كما انتشر المئات من "القناصة" على أسطح المباني الحكومية، وبعض منازل المدنيين.

ضربت الحواجز العسكرية في محيط المدينة، وأغلقت جميع مداخلها، وانتشرت القوات العسكرية والجنود في جميع الأحياء السكنية وفي الشوارع الرئيسية، ومع اكتمال الحصار، فرض على الأهالي منعاً للتجول، وتكفّل القناصة في إرداء أيّ مدني خرج من بيته، وسقطت العشرات من الضحايا برصاص القناصة.

بينما شنت أجهزة المخابرات حملات اعتقال عشوائية واسعة بحق المدنيين، وتمّ القبض على المئات من أبناء مدينة درعا، بعضهم تمّ الإفراج عنه بعد بضعة أسابيع، بينما الكثيرون منهم، مازالوا في قائمة المفقودين حتى كتابة هذه السطور.

تمّت عملية الاقتحام بشكل ممنهج، فأطلق الرصاص على المدنيين بشكل مباشر، وسقط في أوساطهم العشرات من الضحايا، واستهدف جنود الأسد الطواقم الطبية، وأيضاً سجلت قوائم الشهداء سقوط العشرات منهم¹⁴، كما استهدف القناصة خزانات المياه الموجودة على أسطح المنازل، ومع انقطاع المياه والكهرباء عن المدينة، أصاب السكان نقص حاد بالمياه الصالحة للشرب، ومع شدة الحصار،

¹⁴ - شريط فيديو يظهر استهداف قوات الأمن السوري للمتظاهرين ومن بينهم استهداف الطواقم الطبية، بتاريخ: 18-5-2011، <https://www.youtube.com/watch?v=hPeZlf9ohqY>

افتقدت الطواقم الطبية لأهم المواد والأدوات الإسعافية، وكان واضحاً أنّ نظام الأسد، كان يسعى بكلّ السبل إلى قمع الحراك الثوري في مدينة درعا، مهما كلف الأمر.

418

شخصاً قتلوا
على يد قوات
النظام في درعا

وفي المرحلة الممتدة بين 18 آذار وحتى أواخر شهر أيار سنة 2011، أي حتى انتهاء عمليات الاقتحام العسكرية، تمّ توثيق سقوط نحو 418 شخصاً قتلوا على يد قوات النظام في درعا، من بينهم حوالي 200 شخص قتلوا فقط في الأيام الأولى التي تلت اقتحام المدينة أواخر نيسان 2011¹⁵، بينما لا يضم هذا الرقم أعداد المفقودين والذين لم تتمكن عوائلهم من معرفة مصيرهم. وزاد من ضعف المعلومات الواردة من درعا في تلك الأثناء، الحصار الأمني المشدّد على المدينة والذي منع دخول أيّ صحفيين أو منظمات مستقلة إلى المدينة، تزامن مع قطع كامل لوسائل الاتصال والإنترنت.

¹⁵ - حول مزيد من التفاصيل حول ضحايا نظام الأسد في مدينة درعا في المرحلة الممتدة بين شهري آذار ونهاية أيار سنة 2011، راجع التقارير

الدورية التي صدرت عن منظمة هيومن رايتس ووتش لحقوق الإنسان. <http://cutt.us/sRldy>

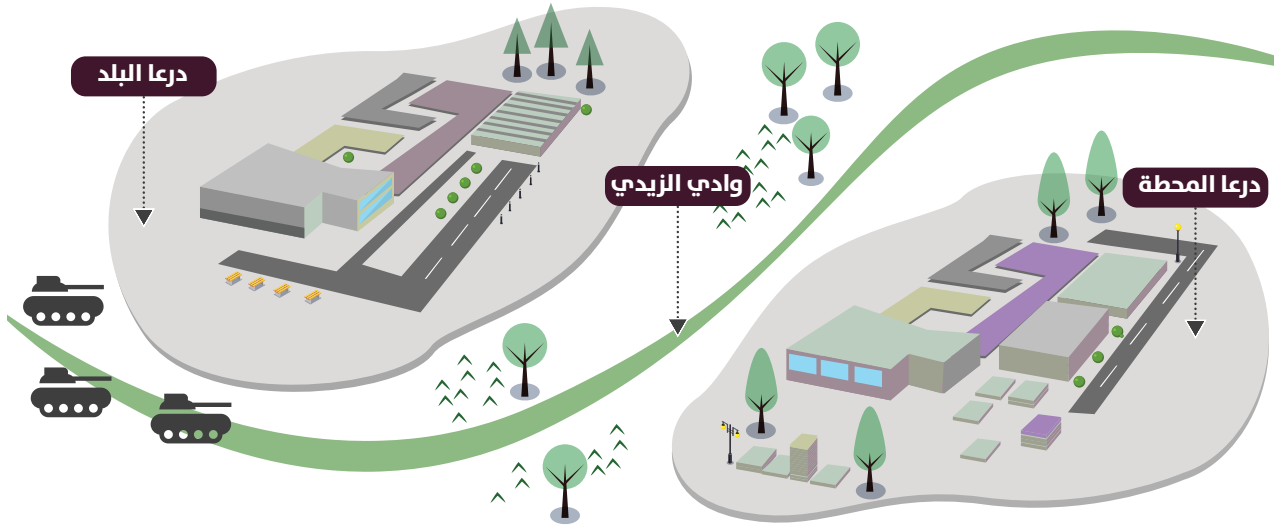
الباب الثاني: زمن المقاومة

تحولات كبرى... مظاهرات وأولى مجموعات الجيش الحر

تتألف مدينة درعا من منطقتين أساسيتين، وهما: درعا المحطة ودرعا البلد، ويفصل بينهما وادي يدعى "وادي الزيدي"، ويشكل قسم درعا البلد المركز القديم للمدينة، بينما يضم قسم "المحطة" الأبنية الحديثة والجامعة وجملة الدوائر الحكومية ومراكز النشاط الاقتصادي الحديث في المدينة.

يقطن درعا البلد عائلات "درعاوية" عريقة، كما كان هذا القسم من المدينة الخيار المفضل لدى الأسر المهاجرة من الريف إلى المدينة، ويحكم "درعا البلد"، شبكة من العلاقات والأعراف القديمة، والتي غالباً ما تأخذ شكلاً عائلياً وعشائرياً؛ فنرى وجود أحياء بأكملها تقطنها عائلة كبيرة، فيسمى الحيّ باسمها، كحيّ السويدان، وحيّ الأبازيد، ومنطقة السيبة التي تقطنها بشكل عام عائلة المسالمة، على سبيل مثال.

◀ تتألف مدينة درعا من منطقتين أساسيتين، وهما: درعا المحطة ودرعا البلد، ويفصل بينهما وادي يدعى "وادي الزيدي"



في هذا القسم من المدينة -درعا البلد- يوجد جامع العمري القديم، والذي شكّل في سياق الحراك الثوري في المدينة بؤرة تجمّع وانطلاق المنتفضين، وشكّل مع الوقت رمزاً من رموز هذا الحراك الثوري في المدينة.

وعلى الرغم من أن الحراك الثوري شمل في تلك الأثناء شطري المدينة -البلد والمحطة- إلا أن هذا الحراك كان قد تجذّر وتمركز في شطر البلد من المدينة. لذا عندما حدث اقتحام المدينة من قبل قوات الأسد، تمّ بالضبط اقتحام درعا البلد، وقمع الحراك الثوري فيه باعتباره بؤرة الانتفاضة.

وعندما انسحبت قوات الأسد من شطر المدينة هذا، في حوالي منتصف أيار من عام 2011، انسحبت باتجاه درعا المحطة، والذي يضم أغلب مقرات ومباني أجهزة المخابرات. بينما أبقّت في درعا البلد مجموعة من النقاط العسكرية وتحديداً في المناطق الاستراتيجية من المدينة، وتمّ قطع الطريق بين شطري درعا، عبر وضع حواجز ونقاط تفتيش عسكرية في منطقة "الوادي" -الزبيدي- وكان ذلك أشبه باحتفاظ نظام الأسد بالشر الحديث من المدينة -المحطة- والأكثر نشاطاً اقتصادياً، والذي يضم أغلب مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية. بينما بقي الشطر الثاني من المدينة، تحت المراقبة والحصار الجزئي، كما بقي مركز الحراك الثوري في مدينة درعا عموماً.

خاض أهالي درعا البلد تجربة مريرة خلال اقتحام قوات النظام لأحيائهم، وقدموا تضحيات باهظة في تلك الأثناء، وربما إلى هذه الفترة يعود قرار حمل السلاح وتشكيل مجموعات مهمتها الدفاع عن أهالي المدينة، والتصدي لقوات الأسد، خصوصاً وأنّ مرحلة اقتحام المدينة، كانت شهدت الكثير من الانتهاكات بحق المدنيين، ومنها المجازر الجماعية، والتي اكتشفها أهالي المدينة من خلال عثورهم على العديد من المقابر الجماعية، والتي ضمت العشرات من جثث رجال ونساء من أهالي المدينة.

بعد انسحاب الجيش من درعا البلد، عادت المظاهرات إلى شوارع المدينة، ولكن بأعداد أقل من السابق، وساد جو من التوجس والقلق في أوساط الناشطين، وفي هذا المناخ، ولدت أولى مجموعات الثوار، والتي لم يكن لها أيّ مسمى في ذلك الوقت، واقتصرت مهمتها على حماية المظاهرات، والتأكد من عدم تكرار قيام قوات النظام بارتكاب مجازر جديدة بحق المدنيين في المدينة.

وبحسب الشهادات¹⁶ التي أتت للكاتب الاطلاع عليها، ضمت هذه المجموعات أعداداً قليلة من شبان المدينة، بينما لم يكن بحوزة هؤلاء الشبان سوى أنواع خفيفة من السلاح، اقتصرت على بنادق الصيد وبعض البنادق الآلية، التي كانوا يملكونها أساساً، أو التي اغتتموها عبر مهاجمة بعض النقاط العسكرية التابعة لنظام الأسد.

¹⁶- شهادات حصل عليها الفريق الميداني من مجموعة من الناشطين والمنشقين عن الجيش والذين فضلوا عدم ذكر اسمهم.

في المرحلة الممتدة بين منتصف أيار وحتى حوالي شهر أيلول من عام 2011، عاش سكان مدينة درعا البلد حالة من التوجس والقلق من تكرار محاولة الجيش اقتحام المدينة. تراجعت في تلك الأثناء المظاهرات الحاشدة، وحل محلها المظاهرات الطيَّارة، وهي مظاهرات تضم أعداداً قليلة من الناشطين، وغالباً ما تكون في المساء أو بعد أن يخيم الظلام على المدينة، بينما تقوم مجموعات صغيرة من الأفراد المسلحين بحمايتها، ريثما تنتهي ويتم تصويرها وبنها على وسائل الاعلام¹⁷.

في ظل هذه الأجواء المشحونة، وفي ظل الحصار الجزئي المضروب على هذا القسم من مدينة درعا، أجبرت العشرات من العوائل على النزوح عن المدينة، وتوجه قسم منها باتجاه الريف القريب، وبعضها الآخر باتجاه الحدود الأردنية، بينما فضلت بعض العوائل التوجه إلى العاصمة دمشق ومحيطها.

مع نهاية عام 2011، بات تحوّل الحراك الثوري نحو العمل المسلح أكثر وضوحاً، وكانت مجمل الأراضي السورية في تلك الأثناء، تنحرف في هذا الاتجاه. كانت "كتيبة العمري" أول مجموعة عسكرية يتم تشكيلها في درعا البلد، والتي ستتوسّع لاحقاً لتصبح "لواء العمري" والذي يضم عدداً من الفصائل العسكرية المحلية.

حتى نهاية عام 2011، اقتصر عمل المجموعات العسكرية الناشئة حديثاً على حماية ما تبقى من مظاهرات، وعلى مهاجمة بعض النقاط العسكرية التابعة لقوات الأسد، ومع دخول عام 2012، تكتفت هجمات الثوار، وبات الصراع أقرب ما يكون إلى نمط العمليات العسكرية الحربية. مما أدى إلى تكثيف قصف قوات الأسد على أحياء درعا البلد، وتعرضها لغارات الطيران الحربي.

ومع الوقت، ومع اشتداد المعارك، ارتفعت معدلات النزوح عن المدينة، وككل سيناريوهات المدن التي أصبحت تقع تحت سيطرة قوى المعارضة، تعرّضت درعا لدمار كبير، ولحصار وانقطاع في سبل العيش، وتدرجياً بدأت تفرغ من سكانها، لتتحوّل مع الوقت إلى جبهات قتال ضارية، تمكن عبرها مقاتلو الجيش الحر من السيطرة تدريجياً على كافة أحياء المدينة، وطرد قوات الأسد من محيطها، تمهيداً لدخول منطقة درعا المحطة، والتي لن تنجح كل العمليات العسكرية والمعارك التي أطلقتها الكتائب العسكرية من دخولها والسيطرة عليها، حتى كتابة هذه السطور.

أهم التشكيلات العسكرية

¹⁷ - شريط فيديو يظهر إحدى المظاهرات المسائية في درعا البلد، بتاريخ: 8-9-2011، <http://cutt.us/W9AtB>



تشكيلات عسكرية جهادية دولية

تشكيلات عسكرية إسلامية
جهادية محليةتشكيلات عسكرية تندرج في إطار
"الجيش الحر"

من الصعب حصر التشكيلات العسكرية التي نشأت في مدينة درعا، دون الأخذ بالحسبان أن معظم هذه التشكيلات كان لها امتدادات في ريف محافظة درعا. وربما يكون من الأصح القول، أن أغلب التشكيلات العسكرية، كانت قد نشأت وتكوّنت في الريف ومن أبناء الريف، ومن هناك انطلقت عملياتها ضد نظام الأسد، وفيما بعد تمكن بعضها من دخول مدينة درعا البلد والسيطرة عليها طارئة قوات الأسد منها بعد معارك ضارية.

تضمّ محافظة درعا وحدها أكثر من خمسين فصيلاً عسكرياً، تتراوح بين تشكيلات تنتمي "للجيش الحر" كتحاليف الجبهة الجنوبية، وتندرج حتى تصل إلى تشكيلات سلفية جهادية كلواء شهداء اليرموك المتهم بمبايعة تنظيم داعش. ويمكن حصر التشكيلات العسكرية في درعا في ثلاث فئات أساسية، وهي: تشكيلات عسكرية تندرج في إطار "الجيش الحر"، أولاً، وتشكيلات عسكرية إسلامية جهادية محلية، ثانياً، وتشكيلات عسكرية جهادية دولية، ثالثاً.

الجبهة الجنوبية آخر تكوينات الجيش الحر

37,000

مقاتل



16

تشكيل عسكري



2014 /12/6

تاريخ التأسيس



في نهاية عام 2014، وتحديداً في السادس من شهر كانون أول، وقّعت مجموعة من التشكيلات العسكرية ميثاقاً للدفاع المشترك تحت عنوان "الجبهة الجنوبية" وتضمن عدداً من البنود والتي أهمها تحديد آليات عمل هذه التشكيلات وأولوياتها القتالية، والمبادئ التي تحدّد علاقات هذه التشكيلات العسكرية مع بعضها البعض، وعلاقتها بالمدينين من أهالي المناطق التي تسيطر عليها.

وضمّت "الجبهة الجنوبية" حوالي 16 تشكيلاً عسكرياً كبيراً، والعشرات من الكتائب والألوية الأخرى، وضمّت حوالي 37 ألف مقاتل، انتشروا بشكل مركز في منطقة حوران والقنيطرة في المنطقة التي باتت تعرف "بمثالث الموت" والتي تمتد بين ريف درعا والقنيطرة وتخوم دمشق.

تعتبر "الجبهة الجنوبية" آخر معاقل ما اصطلح على تسميته "بالجيش الحر"، فبعد أن غزت التشكيلات الإسلامية والإسلامية المتطرفة صفوف الثورة السورية، كاد مصطلح الجيش الحر أن يتلاشى ويضمحل، وهو المصطلح الذي كان يشير إلى التشكيلات العسكرية المعارضة المعتدلة والتي كانت تتبنى الخطاب الوطني الجامع، وتبتعد قدر الإمكان عن الأيديولوجيا والعقائد، وتحديداً الأيديولوجيا الإسلامية.

الإعلان عن تشكيل "الجبهة الجنوبية"، كان بمثابة إعادة إحياء "الجيش الحر" والقيم التي تبناها في خطابه بداية الثورة، فمجموعة البيانات التي تبنتها "الجبهة الجنوبية" تشير إلى ذلك، كما سنلاحظ في سياق هذه الورقة، كما أنّ التفاف الحاضنة الشعبية في حوران ومناطق أخرى من سوريا حول قيادة الجبهة، يشير إلى المزاج الشعبي العام الذي بات يبحث عن يعبر عنه وعن تطلعاته، وهو ما سنناقشه بتوسّع أكبر في ورقتنا هذه.

الرؤية السياسية للجبهة الجنوبية

في العاشر من كانون أول 2014 أصدرت قيادة "الجبهة الجنوبية" ورقة بعنوان "المرحلة الانتقالية"¹⁸، سعت من خلالها إلى عرض تصوّراتها السياسية حول المرحلة التي تلي سقوط نظام الأسد، والدور الذي يمكن أن تلعبه قوات الجبهة الجنوبية في تلك الأثناء.

تعكس هذه الورقة، التوجّه العام للجبهة الجنوبية والأفكار التي تعنتقها، كما تعكس الخط السياسي الذي حدّته قيادة الجبهة الجنوبية لنفسها.

يبدأ البيان الجاري الحديث عنه، بالتأكيد على ضرورة البدء بالشروع بتأسيس نموذج حكم وطني – حال سقوط نظام الأسد- يقوم على احترام كرامة الانسان وعلى النهوض بالإمكانات الهائلة في سوريا لضمان نجاح المرحلة النهائية.

وبناء عليه تحدّد قيادة "الجبهة الجنوبية" مهماتها فور سقوط النظام بمجموعة من الخطوات، أهمها التأكيد على حماية جميع المواطنين السوريين وممتلكاتهم دون تمييز في الدين أو الثقافة أو العرق أو

¹⁸ -بيان صادر عن الجبهة الجنوبية رقم 4 بعنوان "المرحلة الانتقالية" بتاريخ 2014-12-10.

الانتماء السياسي، ووفقاً للقانون الدولي الإنساني وللمعايير الدولية لحقوق الانسان. كما تؤكد قيادة "الجبهة الجنوبية" عبر بيانها على ضرورة حماية مؤسسات الدولة السورية وضمان سلامة البنية التحتية والمرافق العامة بما في ذلك الوزارات والمؤسسة العسكرية.

على صعيد عملي، تؤكد قيادة "الجبهة الجنوبية" على تحويل نفسها من مؤسسة عسكرية إلى قوة دفاع مدني، الهدف منها حماية المواطنين وممتلكاتهم، والحفاظ على مؤسسات الدولة والمرافق العامة.

على صعيد سياسي، ستدعم الجبهة الجنوبية "تأسيس إدارة انتقالية لتوجيه المرحلة الانتقالية"، مؤلفة من موظفي الدولة المشهود بنزاهتهم، ومن الموظفين الذين انشقوا عن النظام سابقاً، وتكون إدارة بطبيعة تكنوقراطية، وتقتصر قيادة الجبهة الجنوبية على الإدارة الانتقالية أن تكون أولى مهماتها وقف العمليات العسكرية والطلب من المقاتلين الأجانب مغادرة البلاد.

كما تدعو قيادة "الجبهة الجنوبية" إلى تعطيل العمل بالدستور الحالي، والعودة إلى دستور عام 1950 السوري، كدستور مؤقت إلى حين صياغة دستور وطني جديد.

والمثير للانتباه هنا، أن "الجبهة الجنوبية" تطلب من أجل ضمان حيادية العمل توجيه نداء إلى الأمم المتحدة من أجل تشكيل "مكتب المرحلة الانتقالية" في دمشق؛ وتعيين مبعوث عن الأمين العام للأمم المتحدة للإشراف على سير العملية الانتقالية.

ستتولى المؤسسات الانتقالية التي سيتم تشكيلها والتي سيتواجد فيها مندوبين من الأمم المتحدة عدّة مهام رئيسية، أهمها: تشكيل الهيئة العليا للانتخابات، والإشراف على انتخابات عامة لسلطة تشريعية مؤقتة. وتشكيل لجنة تأسيسية لصياغة الدستور الدائم للبلاد، والإشراف على استفتاء شعبي على الدستور، وإجراء انتخابات عامة لاختيار مجلس نيابي وحكومة جديدين.

في الحقيقة قلّمنا نجد لدى التشكيلات العسكرية المعارضة التي نشأت في ظلّ الثورة السورية، عرضاً سياسياً واضحاً للأفكار التي تعتنقها، وللخط السياسي الذي تنتهجه، كما أنّ أفكار هذه التشكيلات غالباً ما تكون غامضة حول مستقبل سوريا السياسي، بعد وقف الحرب والشروع بخطوات الحلّ.

بخلاف ذلك، تلح قيادة الجبهة الجنوبية على إبراز تصوّراتها السياسية وتحديداً حول مجموعة من النقاط كطبيعة الدولة ما بعد سقوط نظام الأسد، وحول تأكيدها على مراعاة الشرعية الدولية لحقوق الانسان، ورغبتها بعدم التمييز بين مكونات المجتمع السوري.. إلخ؛ بيد أنّ السؤال يبقى حول مطابقة هذه الأفكار وتبنيها من قبل مقاتلي الجبهة وقادتها على حدّ سواء؛ فقد درج في سوريا في ظل

الصراع الدائر أن تتطابق تصريحات التشكيلات العسكرية وقادتها مع الجهات "الخارجية" الممولة أكثر من سعيها إلى أن تكون انعكاساً لتصورات البيئة التي تمثلها، وتعدّ امتداداً لها.

أهم تشكيلات الجبهة الجنوبية

من أهم التشكيلات التي تضمّها الجبهة الجنوبية: ألوية العمري، جبهة أنصار الإسلام، ألوية سيف الشام، لواء أنصار السنة، الجيش الأول، جيش اليرموك، الفيلق الأول، وفرقة فجر الإسلام وغيرها، ووصل عدد الفصائل والمجموعات المنضوية تحت مظلة الجبهة إلى أكثر من خمسين فصيلاً.

أ. ألوية العمري: تأسّس هذا الفصيل في حوالي النصف الثاني من عام 2012، بقيادة النقيب المنشق قيس قطاعنة، والذي استشهد في إحدى المعارك، وخلفه في قيادة اللواء النقيب المنشق جهاد القطاعنة¹⁹. ويعتبر لواء العمري من فصائل الجيش السوري الحر، وهو أحد فصائل تحالف الجبهة الجنوبية، والذي يتخذ من منطقة اللجاة جنوبي سوريا معقلاً له. ضمّ اللواء لاحقاً عدداً من المجموعات العسكرية أهمها: كتيبة صقور اللجاة بقيادة النقيب مرهف عوض، كتيبة الشهيد محمود عدیل الحريري بقيادة الملازم أول جهاد قطاعنة، كتيبة سيوف الحق، بقيادة الملازم أول باسم عوده، وكتيبة الصديق، بقيادة الملازم أول جلال المواج.

ب. جيش اليرموك: كان من أوائل التشكيلات العسكرية التي نشأت جنوب سوريا، وكان بداية الأمر بقيادة بشار الزعبي، وهو مدني من أبناء محافظة درعا، وفيما بعد تم تعيين "سليمان الشريف" المعروف "بأبو كنان" قائداً لجيش اليرموك، بينما تمّ تعيين الزعبي رئيساً للمكتب السياسي لهذا التشكيل. ويعتبر لواء اليرموك واحداً من فصائل الجيش الحر المقاتلة في درعا والقنيطرة وجنوب سوريا، يضم بضعة آلاف من المقاتلين، ويمتلك عدداً من الآليات الثقيلة، وشارك في كثير من المعارك المهمة كالسيطرة على "كتيبة السهوة" و"اللواء 38"، والمسكن العسكرية في "صيدا".

ت. فرقة الحمزة: أعلن عن تشكيلها في تاريخ 2014-3-24، بقيادة العقيد الركن صابر سفر²⁰. وهي أحد تشكيلات الجيش الحر، وتضمّ ستة ألوية يعمل معظمها في المنطقة الشمالية الغربية من درعا، ومن أهمها "لواء حمزة أسد الله" بقيادة الملازم أول أبو فاروق، ولواء "مجاهدي

¹⁹ - شريط فيديو يظهر إعلان تأسيس ألوية العمري، بتاريخ: 2012-10-24، <https://www.youtube.com/watch?v=2YhoXsoEydI>

²⁰ - شريط فيديو يظهر إعلان تشكيل "فرقة الحمزة"، بتاريخ: 2014-3-24، <https://www.youtube.com/watch?v=37ib1RpDj6o>

حوران" بقيادة المقدم أبو محمد، ولواء "أحفاد عمر بن الخطاب" بقيادة النقيب نضال العتمة، ولواء "شهداء إنخل" بقيادة الملازم أول محمد فاروق العاصي. وهي جزء من المجلس العسكري بدرعا، وتعدّ عضواً بارزاً في تحالف الجبهة الجنوبية.

ث. فرقة فجر الإسلام: أعلن عن تأسيسها بتاريخ أيلول سنة 2014، بقيادة المقدم محمد سلامة²¹، أحد أبناء محافظة درعا، وضمت عدداً من الفصائل العسكرية، أهمها: لواء "فجر الإسلام"، بقيادة النقيب حسين حسن، لواء "السلام"، بقيادة الرائد فادي منصور، ولواء "مجد حوران" بقيادة الملازم أول أحمد الحريري.

ج. لواء أنصار السنة: تمّ الإعلان عن تشكيل اللواء بتاريخ 2013-8-30، بقيادة أحمد الرشيد²². وشارك اللواء في معارك ريف درعا، ويضم اللواء نحو 350 مقاتلاً، وكان جزءاً من فصائل "الجبهة الجنوبية".

مآلات الجبهة الجنوبية

على الرغم من أنّ الجبهة الجنوبية كانت من إحدى أهم التجارب العسكرية على امتداد الحراك الثوري في سوريا، بدليل التقدم الملموس الذي حققته في مواجهة قوات الأسد وحلفائه، وعلى الرغم من الخطاب المعتدل والوطني الشامل الذي تتبناه قيادة هذه الجبهة، إلا أنّه وبالملموس، عكست الجبهة تحالفاً هشاً بين الفصائل العسكرية، انعكس عبر انسحاب العديد من التشكيلات العسكرية من هذا التحالف.

كما أنّ الأداء العسكري للجبهة راح يتراجع تدريجياً، تحديداً بعد توقّف معارك "مثلث الموت" في عام 2015، حيث كان واضحاً حجم تأثير القوى الإقليمية الداعمة لهذا التشكيل (الموك) والتي يبدو أنّ القرار النهائي كان دائماً محصوراً بها، لا بقيادة الجبهة الجنوبية.

²¹ شريط فيديو يظهر إعلان تشكيل فرقة فجر الإسلام بتاريخ 2014-9-28، https://www.youtube.com/watch?v=9BHwPdx_img

²² شريط فيديو يظهر إعلان تشكيل لواء أنصار السنة، بتاريخ: 2013-8-30، <https://www.youtube.com/watch?v=MstBv01b24Q>

الباب الثالث: منظمات المجتمع المدني

تجمع فرح التطوعي

تجمع "فرح" عبارة عن منظمة مدنية تضمّ عدداً من المتطوعين المختصين بمواضيع الدعم والإرشاد النفسي، والذين يسعون عبر عملهم إلى "تغطية حاجات الأطفال السوريين في التعلّم وحماية أنفسهم وإعادة الثقة وبناء مساحات صديقة للطفل وسط صحراء الحرب" بحسب تعبير السيد حسين النادر مدير المنظمة²³.

تأسّس مشروع "تجمع فرح" على يد ناشطتين سوريّتين، وخلال بعض الوقت ما لبث المشروع أن توسّع، واستقطب مع الوقت العشرات من المتطوعين المختصين، ووصل عدد كوادر التجمع إلى نحو 103 متطوعين، أغلبهم من ذوي الاختصاصات والخبرات في مجال الإرشاد النفسي وغيرها من الاختصاصات، وبحسب وثائق المنظمة، ضمّ تجمع "فرح الاختصاصات التالية: 5 اختصاص علم نفس، 16 اختصاص إرشاد نفسي، 14 علم اجتماع، 12 رياض أطفال، 19 معلم صف، 3 لغة عربية، 7 لغة انكليزية، 4 رياضيات، 2 هندسة زراعية، 4 هندسة مدنية، 6 حقوق، 11 رسم". وأتى تأسيس "التجمع" في سياق الاحتياجات الاجتماعية التي فرضتها ظروف الحرب وتداعياتها على المجتمع السوري وتحديداً على الأطفال، الشريحة الأكثر هشاشة في ظلّ الحرب.

وبحسب السيد حسين "يبلغ عدد أعضاء تجمع فرح التطوعي 103 من المدرسين والاختصاصيين

ومدربي التعليم النفسي والترفيهي، انتخبوا فيما بينهم مجلس إدارة مكوّن من 8 مكاتب إدارية لإدارة أعمال التجمع". وحكم التجمع مجموعة من المبادئ والقواعد، والتي كان أهمّها: التغطية والشمول لجميع أنحاء محافظة درعا، الشفافية بين أعضاء الفريق في ما بينهم من جهة، وما بين الفريق وأبناء المجتمع من جهة ثانية، الموضوعية في العمل، المساواة بين أعضاء التجمع، العمل ككتلة

تجمع فرح التطوعي:

.....

تأسّس مشروع "تجمع فرح" على يد ناشطتين سوريّتين.



مشروع حماية الطفل أو المساحات
الصديقة للطفل.



103

أعضاء المنظمة

²³- لمزيد من التفاصيل حول "التجمع" راجع عنوان التجمع على الفيسبوك على الرابط: <https://www.facebook.com/farahteem/?fref=ts>

واحدة ورفض الانفراد بالعمل واتخاذ القرار.

سعى أعضاء تجمع "فرح" إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي وضعوها نصب أعينهم، وبذلو الكثير من الجهد من أجل تنفيذها، وكان من أهم هذه الأهداف:

1. تقديم الدعم النفسي للأطفال واليافعين وذوي الاحتياجات الخاصة في المخيمات ومراكز الإيواء.

2. افتتاح مدارس تعليمية لمرحلة التعليم الأساسي في مخيمات اللجوء والقرى المنكوبة في المحافظة.

3. تفعيل دور المرأة في المجتمع، وتأهيلها لمواكبة الظروف القاسية وإيجاد فرص عمل لهنّ من خلال إقامة دورات تدريبية ومهنية وصحية تشمل دورات (خياطة، نسيج، فنون نسوية، لغات، دورات ترميض).

4. تقديم المساعدة لذوي الاحتياجات الخاصة وإصابات الحروب من خلال توفير مستلزماتهم واحتياجاتهم من معدات طبية وأدوية واحتياجات شهرية كالحليب، وإقامة نشاطات ترفيهية ودعم نفسي.

5. محاربة استغلال الأطفال من عمالة مبكرة وتجنيد وتسرب من المدارس.

6. افتتاح عدد من الروضات لتحضير الأطفال وتهيئتهم لمرحلة التعليم الأساسي.

7. تقديم دورات خاصة لليافعين من لغات ومعلوماتية وبرامج دعم نفسي تخص هذه المرحلة الحرجة من عمر المراهق.

وكان "تجمع فرح" قد نجح في وقت سابق في تنفيذ عدد من المشاريع وفق الخطة التي أعدها ناشطو التجمع، ومنها: "مشروع حماية الطفل أو المساحات الصديقة للطفل" المؤلف من ثمانية جلسات. واحدة كل أسبوع؛ ويقسم المرشدين إلى مجموعات تتألف من ثلاثة أو أربعة مرشدين، وكل مجموعة لديها 15 طفل، وتكون الأعمار من 5 سنين حتى 12 سنة، حيث لكل جلسة عنوانها وهدفها، ولعلّ أهمها تلك التي تعلّم الأطفال كيفية التعامل مع القذائف والألغام وأنواعها وكيفية تفاديها والتعامل معها، وكيفية اعتماد الطفل على نفسه في حلّ مشاكله عبر التعاون مع الآخرين.

ويبقى القول، بأنّ "فرح": "تحلم برسم الفرحة والبسمة على وجوه أطفال سوريا وإنقاذهم من صدماتهم النفسية وإرجاعهم إلى طفولتهم، ساعية إلى توسيع عملها في جميع المناطق المحرّرة من سوريا لزيارة كلّ طفل سوري، لأنّها تؤمن بأنّ "أطفالنا هم جيل المستقبل الذي سيبنى سوريا الجديدة الديمقراطية بعيداً عن التطرّف" بحسب قول السيد حسين النادر لمدن في الثورة.

منظمة أضواء سورية

"أضواء سورية": منظمة إنسانية غير ربحية مستقلة، تقدّم خدماتها التعليمية والإغاثية والتنمية والدعم النفسي لكافة أطراف المجتمع بغض النظر عن العرق أو القومية أو الأثنية أو الدين أو اللغة. وتضم نحو (٣٩) فرد، إداريين ومدرسين، وميدانيين، جميعهم يعمل بشكل تطوعي²⁴.

وبحسب السيد "عواد البردان"²⁵، فإنّ منظمة "أضواء سورية" تركز جهودها بشكل أساسي على العملية التعليمية تحديداً في المناطق التي تسيطر عليها قوى المعارضة السورية، وتشمل في مشاريعها الأولاد السوريين من عمر الخمسة أعوام وحتى عمر الستة عشر عاماً.

وبالنسبة للتلاميذ بعمر سبعة أعوام وما فوق، يتمّ تقديم دورات تقوية للطلاب بالمواد التالية (اللغة العربية والانكليزية والفرنسية، الرياضيات، العلوم العامة، ومبادئ حقوق الإنسان واتفاقية حقوق الطفل). كما يتم تنفيذ العديد من الأنشطة الترفيهية والرياضية (كرة القدم، وكرة السلة، وفن الدفاع عن النفس، والرسم والغناء والتمثيل..) ووصل عدد التلاميذ المستفيدين من هذه المشاريع نحو 300 تلميذ.

منظمة أضواء سورية:

منظمة إنسانية غير ربحية مستقلة، تقدّم خدماتها التعليمية والإغاثية والتنمية والدعم النفسي.



39

تشمل مشاريعها الأولاد السوريين من عمر 4-14 عاماً.

أعضاء المنظمة

بالإضافة إلى النشاطات التعليمية، تهتم منظمة "أضواء سورية" بمشاريع الدعم النفسي، الذي تقدّمه للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4 وحتى 14 سنة، من خلال مشرفين مختصّين خضعوا للعديد من الدورات التدريبية بالتعاون مع منظمة "حراس

²⁴ - عنوان منظمة "أضواء سورية" على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/Syrian.Lights.Organization/?ref=ts&fref=ts>

²⁵ - معلومات حصل عليها فريق العمل الميداني من السيد عواد محمد البردان مدير منظمة "أضواء سورية"، بتاريخ: آب 2016.

الطفولة". ويتم تنفيذ مجموعة من البرنامج ومنها: برنامج المكان الآمن والصديق، وبرنامج أنا أتعلّم، وبرنامج أساليب البقاء الخاص باليافعين.

يتمّ تنفيذ هذه المشاريع من خلال تشكيل ثمانية مجموعات، كلّ مجموعة تتكوّن من خمسة عشر طفلاً كحد أقصى، مدة الدورة (٨ جلسات) تستمر لمدة شهرين، ويشرف عليها (مرشد ومرشدة) من أعضاء المنظمة. يتمّ تخريج (١٢٠) طفل مع نهاية الدورة، وتوزع الهدايا والألعاب بحضور أولياء أمورهم. ووصل عدد الأطفال المستفيدين ضمن المركز الدائم إلى: ٩٢٠ طفل.

بالإضافة إلى النشاطات المتعلقة بالتعليم والطفولة، تنشط منظمة "أضواء سورية" في مجال "المرأة" حيث تمّ تخصيص مكتباً للاهتمام بشؤون النساء، ونفذ مكتب المرأة العديد من الدورات في كافة المجالات (دورات في المجال القانوني بشرح القانون السوري في حماية المرأة وتكريس دورها في المجتمع، بالتعاون مع تجمع "شريكات" لتمكين المرأة، ودورات محو أمية، ودورات في تمكين المرأة اقتصادياً داخل منزلها وخارجه، وكيفية دمجها في السوق المحلي لتكون أكثر فعالية كفرد منتج في المجتمع). وبحسب السيد "عواد": "يعمل مكتب المرأة على دعوة أولياء أمور الطلاب ضمن لقاءات دورية شبه شهرية لمناقشة شؤون أطفالهم واطلاعهم على مشاكلهم والتعاون في سبيل حلّها، وتقريب وجهات النظر بين الأهل والأطفال بهدف الوصول إلى أسر متعاونة مترابطة".

بالإضافة إلى ما تقدّم من نشاطات، تقوم بها منظمة "أضواء سورية" فإن القائمين عليها يسعون بشكل متواصل إلى توسيع دائرة اهتماماتهم ونشاطات منظماتهم، لتطال الاهتمام بالمشاريع التنموية ومشاريع تهتم بالشأن الصحي للمواطنين وغيرها من النشاطات، وتسعى المنظمة إلى بناء شراكات وتنسيق الجهود مع العديد من الجهات والمنظمات في سبيل تنفيذ مشاريع تنموية وتعليمية تخدم المجتمع السوري، وتتيح فرص عمل أكثر وترسيخ مفهوم مبادئ حقوق الانسان والعمل بها بين أفراد المجتمع، ومشاركتها مع منظمات ومؤسسات ومجالس وتجمّعات محلية للوصول إلى مجتمع مدني يسوده القانون والعدل والديمقراطية، بحسب ما جاء في وثائق المنظمة.

الهيئة العامة للدفاع المدني

في نهاية عام 2012، بدأت مجموعة من الناشطين بالتفكير بتأسيس "هيئة عامة للدفاع المدني"، وذلك بسبب الاحتياجات المتزايدة لسكان المنطقة من المدنيين، خصوصاً بعد انسحاب قوات الأسد من

العديد من أحياء مدينة درعا البلد. وفي تاريخ نيسان عام 2013، تمّ إطلاق "الهيئة العامة للدفاع المدني في مدينة درعا"، واقتصر عملها في تلك الأثناء داخل أحياء المدينة²⁶.

تركز عمل الهيئة العامة للدفاع المدني في بداية الأمر على إسعاف الجرحى، وتأمين العلاج الأولي لهم، وتوسّع عمل الهيئة لاحقاً ليشمل خدمات تنظيف الأحياء وجمع القمامة من المكبات العشوائية والتخلّص منها، ومع الوقت ازداد العمل التطوعي تنظيماً، وبات يقدم خدمات صيانة شبكة الكهرباء والماء من خلال متطوعين وفنيين مختصين.

وخلال فترة قصيرة، تمكنت هيئة الدفاع المدني من توسيع نشاطاتها، وأصبحت تنشط في نحو 25 بلدة وقرية في محافظة درعا عموماً. وتمكنت الهيئة من بناء صلات قوية مع المؤسسات المحلية في هذه المناطق، فوطدت علاقاتها مع المجالس المحلية، ومع منظمات المجتمع المدني، ونسقت جهودها مع هذه الجهات. كما بنت علاقات طيبة مع تشكيلات تابعة للجيش الحر، والمجموعات العسكرية المعتدلة، واكتسبت الهيئة شرعيتها واحترامها من قبل جميع هذه الأطراف بسبب نزاهة العاملين فيها، وطبيعة عملهم والخدمات التي قدّموها لسكان المنطقة.

الهيئة العامة للدفاع المدني:



إسعاف الجرحى وتأمين العلاج الأولي.
تنظيف الأحياء، وصيانة شبكة الكهرباء
والماء.



تم إطلاق الهيئة
في نيسان 2013

تفتقد هيئة الدفاع المدني في درعا إلى الدعم المالي واللوجستي المستقر، وتعتمد في تأمين احتياجاتها على الشراكات التي تقيمها مع منظمات المجتمع المدني المحلية والدولية، ورغم ذلك تعاني الهيئة من نقص شديد في التمويل، ومن أكثر العقبات التي تواجهها، كان قدم الآليات التي تستخدمها، ونقص قطع الغيار والصيانة اللازمة لها.

فريق إصرار التطوعي

بعيداً عن المنظمات الرسمية، وبعيداً عن القوى والتحالفات السياسية السائدة، ولد فريق "إصرار" كنتيجة لرغبة مجموعة من الشباب في ريف محافظة درعا جنوب البلاد في تقديم يدّ العون للأطفال السوريين، وتحديدًا أولئك المتواجدين في مخيمات اللجوء في محافظة درعا.

²⁶ - للاطلاع على نشاطات الهيئة العامة للدفاع المدني، راجع صفحة الهيئة على الفيسبوك على الرابط التالي: <https://m.facebook.com/scsyrain>

وبحسب بلال الغمرة²⁷، أحد المؤسسين في الفريق، يقول: تأسس فريق "إصرار" في بداية عام 2016 نتيجة وجود المخيمات وبسبب إدراكنا إلى حاجة الأطفال للدعم النفسي، بسبب ما خلفته أوضاع الحرب التي تشهدها المحافظة، وما تركته من آثار سلبية على حياتهم". وأتى اختيار اسم الفريق بشكل ديموقراطي، حيث شارك جميع أفراد الفريق المؤلف من تسعة شبان وخمسة فتيات على اختيار الاسم "إصرار".

وبحسب العديد من التقارير الإنسانية، غالباً ما يكون الأطفال هم أكثر الضحايا تضرراً في ظروف الحرب، حيث لا يقف الأمر عند الأضرار الجسدية التي تلحق بهم، بل تتعداها إلى أضرار نفسية لا تقل أهمية عن الأضرار الجسدية، وهي آثار تبقى مرافقة لهم طيلة سنوات حياتهم. من أجل هذا، سعت العشرات من المنظمات الإنسانية المدنية والدولية من أجل تقديم يد العون للضحايا الذين لا حول لهم ولا قوة.

وبالنسبة لفريق "إصرار"، فإن الهدف الأول الذي حفز أفراد الفريق من أجل العمل التطوعي الذي انبروا للقيام به كان رغبتهم في "زرع الابتسامة على وجوه الأطفال، وإبعادهم قدر الإمكان عن أجواء الحرب العنيفة التي تدور في محيطهم"، بحسب أحد أعضاء الفريق.

يعمل فريق "إصرار" ضمن إمكانيات جد متواضعة، حيث أنه لا يحصل على أي تمويل من أي جهة كانت، يدفعهم إلى العمل حسّهم الإنساني في ضرورة عمل شيء ما في ظل هذه الحرب اللدود، وبحسب الناشط بلال: "الأنشطة التي نقوم بها بسيطة جداً، حيث نقوم بتقسيم الأطفال إلى مجموعات، كل مجموعة تبدأ بلعبة معينة، ومن ثم نقدّم جلسة توعية للأطفال ومن بعدها نقوم بعرض فيلم كرتون لكل الأطفال، وبنهاية النشاط نجمع الأطفال ونغني أغنية معاً".

فريق إصرار التطوعي:



تقديم يد العون للأطفال السوريين،
وتحديداً أولئك المتواجدين في
مخيمات اللجوء في محافظة درعا.



14

أعضاء المنظمة

وحول المهارات التي يمتلكها أعضاء الفريق، والخبرات التي يمكن أن تؤهلهم للعب مثل هذا الدور الحساس، يقول بلال: "كنا نعمل في الدعم النفسي التابع لمنظمة غصن زيتون، ضمن بلدات وقرى محافظة درعا، وخضعنا

²⁷- المعلومات في هذه الفقرة حصل عليها الباحث من لقاء أجراه مع الناشط في فريق "إصرار" بلال الغمرة.

للعديد من الدورات التدريبية، فيما بعد قرّرنا أن نشكل فريقاً خاصاً بنا، ونعمل لخدمة أطفال المخيمات". بهذا المعنى أغلب أعضاء الفريق لديه خبرة في هذا المجال، وذلك لأنهم جميعهم على وجه التقريب عمل في وقت سابق مع الأطفال ضمن برنامج الدعم النفسي، وخضع للدورات التدريبية في هذا المجال.

منظمة غصن زيتون

بدأت قصة منظمة "غصن زيتون"، عندما اجتمع ثلاثة من الناشطين في أحد مقاهي درعا ليختاروا اسماً لمجموعتهم التي قرّروا تشكيلها لتكون إطاراً يجمع نشاطاتهم ويقوننها، كانت عين أحدهم ترصد وتتأمل ركوة القهوة، مدققة في الرسم الموجود عليها، ليصرخ فجأة "غصن زيتون". ضحك الشباب ولم يتردّدوا لحظة واحدة، وكأنّ ركوة القهوة أضحت فانوسهم السحري الذي لبّى ما يبحثون عنه، فللزيتون دلالة ورمزيته عند السوريين وثورتهم عامة، خاصة في بدايتها الأولى حيث زرع الناشطون غراس زيتون، وقدموا أغصانا وورودا للجيش السوري كي لا يطلق النار عليهم²⁸.

وكون المجموعة تأسّست للعودة إلى "جوهر العمل المدني السوري، الذي يجمع الجميع" فإنّ الاسم جاء مطابقاً ظاهراً وباطناً لما يريدون، خاصة أن عودتهم هذه مضمّخة بالدم والتجربة، فأحد أصدقائهم (إياد الحاج علي) الذي كان سلمياً، ومؤسساً للحراك المدني والسلمي (مظاهرات، إغاثة..) في لحظة ما انزاح نحو العمل العسكري، وانتمى لـ "الجيش الحر" وتسلّح، ليستشهد لاحقاً. الأمر الذي دفع الفريق المكوّن من ثلاثة أفراد لأن يفكروا بأنّ "الشباب ذهبوا بمناخات عسكرية، لم تقدّم كثيراً للثورة، فقرّرنا أن نعمل بطريقة ثانية أشياء نحن نحبّها، وننجح بها، كما كنّا في بداية الثورة، فأسسنا "غصن زيتون" في بداية الشهر العاشر من عام 2012 بحسب "أوس" أحد مؤسسي المنظمة، لحكاية ما انحكت²⁹.

افتتح الناشطون الثلاثة نشاطاتهم بحملة "غرفتي صفي" التي تعاقدت مع ثلاثة مدرسين على إعطاء الطلاب الذين انقطعوا عن المدارس نتيجة القصف والمعارك في بيوتهم، كي لا يبقوا بلا تعليم. إلا أنّ الأوضاع الصعبة حالت دون قدرتهم على الالتزام بهذا الأمر كثيراً في البداية، فالمدرس الأول اعتقل والثاني أصيب بقذيفة والثالث تزوج، الأمر الذي جعل حملتهم مجرد تجربة استفادوا منها لاحقاً في

²⁸- لمزيد من التفاصيل، راجع موقع منظمة غصن زيتون على الويب على الرابط التالي: <http://obranh.org>، وصفحة المنظمة على الفيسبوك:

<http://cutt.us/c23b>

²⁹- "أوس" اسم مستعار، وهو ناشط من مدينة درعا كان يدرس في كلية طب الأسنان قبل أن تطرده إدارة الجامعة على خلفية مشاركته في المظاهرات.



6

مراكز ثقافية



2012

تأسست في
تشرين الأول 2013

39

أعضاء المنظمة

التنظيم، خاصة أن "المعتقل عاد والمصاب عاد في حين أن الذي تزوج لم يعد بعد" يقول "أوس" ضاحكاً.

اجتمع الفريق مرة أخرى في الشهر الثامن من عام 2013 وسط أجواء متشائمة فرضتها الأوضاع السيئة والتفكير بجدوى هذا العمل وسط كل ما يحصل، ليقرروا في النهاية البدء من جديد، إذ لا خيار لديهم، "قلنا رح نضرب هالطينة بالحيط، وبدنا نشغل. جمعنا عشرة آلاف ليرة، وعملنا حملة "نحننا بدنا نعيش". وهي حملة تؤكد على حق الطفل بالحياة، كأبسط حق من حقوقه"، لتنتقل بعدها حملاتهم واحدة تلو الأخرى، وكلما تمكنوا من جمع مبلغ أقاموا حملة، مثل حملة "جاي على بالي إلعاب وارسم" التي شملت إقامة حصص رسم للأطفال ومسابقة توجت بإقامة معرض للأطفال في الداخل، حيث توزعت المعارض على مناطق: درعا، التل، الزبداني وغيرها. وحملة "أمل جديد بضحكة عيد" التي تضمنت إقامة حفلات للأطفال في أول أيام العيد في درعا البلد (350 طفل) والزبداني (150 طفل) والتل (100 طفل)، شملت رسم على وجوه الأطفال ولعب ورسم وقراءة قصص. الملفت هنا ليس فرحة الأطفال ونسيانهم ما يحصل حولهم، بل فرح الأهالي الذين رأوا أبنائهم يرسمون ويبدعون ويفرحون، حيث قالوا "منذ زمن لم نرى الفرحة في عيون أطفالنا"، مطالبين بحفلة أخرى، إلا أن الفريق لم يتمكن بسبب عدم وجود موازنة.

في كانون الأول 2013 حصلت نقلة نوعية في عمل الفريق، إذ كلف "أنس" أصدقاءه في بيروت بأن يجمعوا مبلغ عشرة دولار من كل متبرع، ليجمع مبلغ تمكنوا من خلاله من وضع أسس أول مشروع متكامل لهم، ألا وهو "دار غصن الزيتون للتعليم" والذي ضمّ "روضة ومدرسة ابتدائية ونادي أطفال، وهي اليوم أحسن من المدارس الحكومية حتى قبل الأحداث، إذ تضمّ الأولى 350 طالب، والثانية 250 والثالثة 350 أي ما يقارب 950 طفل" ليتبع هذا الجهد بتأسيس مجلة "قوس قزح" الخاصة بالأطفال، والتي يوزع منها الفريق 1500 نسخة مجانية كل شهر. وهم يسعون اليوم بكامل جهدهم لتأسيس "دار الزيتون لذوي الاحتياجات الخاصة" حيث رصد الفريق حوالي 250 منهم، ولا زال البحث جار عن آخرين لتأمينهم في مدرسة، علماً أنه يتم تأمين بعض الاحتياجات لهم اليوم.

تركيز النشاط عملهم على الطفولة والتعليم، لم يمنعهم من الاهتمام بأشياء أخرى، فحين رؤوا أنّ الأشجار تتعرض لإبادة سواء بفعل المعارك والقصف أو بفعل قطع الناس لها تحت إلحاح الحاجة، أطلقوا حملة "غراس المستقبل" التي تضمّنت غرس أشجار الكينا والزيتون، "فهى لا تحتاج مبالغ كبيرة، وتعلّم الأطفال والأهالي الزراعة، وهى نشاط حلو وجميل ونوع من أنواع الثقافة" بحسب "أوس"، إضافة إلى قيامهم بحملة "لا تنسونا الشتوية بلشت" التي تضمّنت تأمين حرامات وألبسة شتوية وغيرها لعائلات نازحة من مخيم الوافدين في ريف دمشق إلى الحدود السورية/الأردنية، حيث منعتهم السلطات الأردنية من الدخول كون أصولهم فلسطينية.

عملية حماية المدارس والأطفال من القصف والمعارك هي النقطة الأصعب لدى الفريق، حيث سعوا لتحسين المدارس قدر الإمكان بالتعاون مع هيئة الدفاع المدني في درعا، كما قاموا بالتواصل مع المسلّحين لعدم الاقتراب من مناطق المدارس وتعريضها للخطر، ومع الناشطين كي يتولّوا أمر حماية هذه المناطق ومنع دخول السيارات إليها خوفاً من التفخيخ. كما تمكنوا من تأمين باص نقل للمدرسة الأولى يقوم بنقل الطلاب من بيوتهم إلى المدرسة كي يكونوا أقلّ تعرضاً للخطر الذي كثيراً ما دفعهم للتفكير بإيقاف المدارس خوفاً على الأطفال.

فريق "غصن الزيتون" يقوم بأرشفة كامل عمله، من تسجيل بيانات الطلاب إلى علاماتهم ومستوياتهم، إضافة إلى توزيع جلاء مدرسي للطلاب، حتى إذا تمّ الاعتراف بهذه المدارس لاحقاً يكون كلّ شيء جاهز. وحتى لو لم يتم الأمر، فإنّ النظام التعليمي في سوريا يسمح للمتقدمين لشهادتي الإعدادي والثانوي أن يتقدّموا من خارج المدارس، وعليه فإنّ مهمتهم تركز على إيصال الطلاب إلى مرحلة يصبحون فيها قادرين على التقدّم لهذه الامتحانات لوحدهم، ولهذا هم لا زالوا يدرّسون المنهاج الرسمي للدولة السورية، معتبرين أنه "منهاج السوريين لا منهاج النظام، هو سوري مدني يؤمن بكل سوريا، بعد إجراء بعض التعديلات الطفيفة عليه، الأمر الذي جعل من عملهم مؤسساتي رغم كلّ الظروف التي يحيون في ظلّها، فلديهم اليوم حوالي 45 مدرّساً متفرّغاً من أصحاب الشهادات الجامعية، والأولوية لمن لديه خبرة سابقة، ويحصل كلّ منهم على راتب يتراوح بين مئة ومئتي دولار، حيث أحرّ الناشطون إطلاق مدارسهم ريثما يكونوا قادرين على تأمين هذه الرواتب التي يُجمع أغلبها من التبرّعات ومنظمات المجتمع المدني، لأجل أن يكون العمل منتظماً، لأن تجربتهم الأولى علّمتهم أنّه ليس المهم إطلاق العمل بل المحافظة على استمراريته، حيث ساعدهم في الأمر وجود نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل من جهة، ونسبة كبيرة من المتطوّعين الذين يريدون أن يقدموا أيّ شيء لبلدهم من جهة أخرى.

لم تتعرض المدارس حتى اليوم للمضايقة من التيارات الدينية المتشددة، فهي قليلة أساساً كما أنّ الأهالي الذين يريدون أن يتعلم أبناءهم يشكلون أكبر درع حماية لهم في وجه الجميع، حيث أنّ المجتمع في درعا لا زال مدنياً أهلياً وبعيداً عن التطرف". إلا أنّ الصعوبات تأتيهم من موقع آخر، فعدم تساهل السلطات الأردنية مع مسألة عبور السوريين رسمياً، تجعل مسألة تأهيل الكوادر وتدريبهم في الخارج ضعيفة جداً، لأنّ الذهاب نحو دمشق ومن ثم الخارج أمر خطر جداً، الأمر الذي يحرمهم فرصة التدريب والمشاركة في ورشات عمل.

"غصن زيتون" لا ينتظر اليوم أيّ مساندة خارجية أو تدخل خارجي أو أيّ شيء آخر، فهو قرّر العمل والاعتماد على الذات، ساعياً لأن يكون عمله هذا حجر أساس لسوريا التي يؤمن بها، والتي ينتظر تحققها حتى يأتي يوم "نكون فيه عم نشغل بالصومال، ويكل منطقة بالعالم تحتاج مدرسين أو تضرّر أطفالها من الصراعات" بحسب تعبير مؤسسي منظمة غصن زيتون.

لوحات فرح

عشرات اللوحات الفنية والمنسوجات، زينت صالة تابعة لمركز غصن زيتون الثقافي في مدينة دامل، قام بإنجازها مجموعة من الأطفال واليافعين، وتراوحت أعمارهم بين 12 و18 سنة، كما صرّح "أيهم الغريب"، الناطق الإعلامي باسم منظمة غصن زيتون لحكاية ما انحكت.

200 طفل ويافع، خضعوا لورشة تدريب استغرقت ثلاثة أشهر، لتعليمهم فن الرسم والحياكة، وفي النهاية قام 36 منهم بإنجاز المنسوجات والملابس وتزيينها، بينما رسم أربعون آخرون لوحات المعرض الذي حضره أهاليهم والمهتمون في 24 آذار 2016.

بلغ عدد اللوحات في مادة الرسم حوالي 80 لوحة، تملؤها صور الطبيعة والفراشات والأشجار والعصافير، إضافة إلى أشكال الرسوم المتحركة، في حين غلبت على المنسوجات الألوان الزاهية والتصاميم التقليدية لأبناء محافظة درعا، ونستخلص من كلّ هذا أنّ خيال الأطفال العاملين كان بعيداً تماماً عن أحداث الحرب، خصوصاً إذا علمنا أنّ معظم الأعمال كانت من بنات أفكارهم وليست بإرشاد المدربين، لكن خلال الدورة التدريبية، قام بعض الأطفال برسم دبابة أو طائرة حربية، فحاول المدربون تغيير ذلك من خلال توجيهات معينة تُخرج الطفل من الأجواء المحيطة بهم، كما أضاف "أيهم" لمدن في الثورة.

تلك الأجواء الأمنية الصعبة، والتي كانت أقسى التحديات التي واجهت المنظمة، تمّ التغلّب عليها من خلال أخذ احتياطات يمكن أن تحمي الأطفال، وذلك بعزلهم قدر الإمكان عن أجواء الحرب، وخلق جو من الترفيه بينهم، وتقديم المختصين للدعم النفسي كي يخفّفوا من وطأة الخوف لديهم.

إضافة إلى الوضع الأمني، فقد واجه الفريق صعوبة في تأمين بعض المواد اللازمة، وذلك عائداً لصعوبة التنقّل بين مدينة وأخرى ومحافظة وأخرى، لكن تمّ تلافي ذلك من خلال محاولة الاعتماد على المواد المتوفرة قدر الإمكان.

مركز الزيتون الثقافي في مدينة داعل، والذي يُعدّ المركز الثقافي الرابع من بين مراكز غصن زيتون التي يبلغ عددها 6 مراكز ثقافية، يقوم بتنظيم عدّة دورات، فبالإضافة إلى الرسم والخياطة والنسيج، هناك دورات ترميض وزراعة وتعليم اللغتين الإنكليزية والفرنسية، إضافة إلى دورات الدعم النفسي.

خاتمة

يكاد يجمع السوريون اليوم على أنّ شرارة الثورة كانت قد انطلقت من "حوران" جنوب البلاد، وفعلياً كان لمحافظة درعا شرف افتتاح الثورة السورية في الثامن عشر من آذار سنة 2011. ومنذ ذلك الحين، كانت درعا قد اختبرت جميع المحطات التي مرّت بها ثورة السوريين. فكانت درعا قد اختبرت في بداية الأمر أنواعاً من الاحتجاجات المحلية، وعندما سقط شهداء على ترابها، انخرطت المدينة في حراك ثوري عارم، دفع أغلب المدن السورية للخروج إلى الشارع ضد سلطة نظام الأسد.

وكحال سيرورات الثورة في أغلب المدن السورية، سرعان ما تحوّل العمل السلمي في درعا إلى مرحلة حمل السلاح والبدء في تشكيل الكتائب والمجموعات العسكرية. وخلال بضعة أشهر اختبرت المدينة تجربة "التحرير"، فسيطرت الكتائب المسلحة على قسم "درعا البلد" من المدينة، ثم سرعان ما أصبح أغلب ريف محافظة درعا تحت قبضة الثوار، وانتهى زمن العمل السلمي، لتتخرط مدينة درعا في حرب ضروس مع قوات الأسد ويضرب على المدينة حصار شديد، أدى فيما بعد إلى دمار كبير طال المساكن المدنية والبنى التحتية للمدينة، وأجبرت آلاف الأسر على النزوح خارج مدينتهم.

حتى اليوم ما يزال نحو نصف مدينة درعا، وتحديداً بالمنطقة التي تدعى بدرعا المحطة، تحت قبضة نظام الأسد، بينما القسم الآخر من المدينة، أي درعا البلد، فهو أشبه بالأطلال، فالحرب العنيفة والقصف المتواصل على المدينة لم يبق من إمكانية للحياة.

ورغم تراجع الحراك الثوري في درعا، ورغم الانتقادات التي تنصب على ثوار المدينة بسبب تراجع نشاطهم الثوري، إلا أنّ مدينة درعا تبقى على صعيد الذاكرة الشعبية، أحد أهم رموز الثورة السورية، ويبقى أصوات أطفال درعا الذين أيقظوا السوريين من ثباتهم، ناقوسٌ يذكر السوريين دوماً بالأسباب التي دفعتهم للخروج ضد طاغية دمشق.

منهجية البحث

منذ منتصف مارس آذار عام 2011، والمدن السورية تخضع لديناميات عالية من التغيير والتحويلات، والتي نالت من جملة التكوينات الاجتماعية المحلية، وحتى من بيئاتها الجغرافية. وبقدر ما تبدو السيرورات الثورية في المدن السورية المختلفة متشابهة، وتتقاطع في العديد من النقاط والتفاصيل، إلا أنّ الدراسة العيانية لكل مدينة على حدى، تظهر التمايزات والخصوصيات التي تجعل لكل مدينة سورية حكايتها الخاصة بها. وهو أمر من الصعب الكشف عنه من دون الغوص في تفاصيل "الحكاية"، حكاية المدن وسكانها والأحداث الرهيبة التي عصفت بها خلال السنوات الخمس الماضية.

ومن بداية الحراك الثوري في سوريا، وازب نظام الأسد على قمع أي شكل من أشكال الإعلام الحر، ومنع دخول الفرق البحثية والإعلامية إلى سوريا، حتى أنه بات لدى السوريين العشرات من الشهداء الإعلاميين، وهم الشبان الذين سعوا إلى توثيق ما يجري في سوريا، وبثه إلى العالم المتمدن.

أريد لسوريا أن تكون أو أن تستمر في كونها مملكة للصمت، وفي الوقت الذي نجح فيه نظام الأسد في تحقيق ذلك عبر العقود الماضية، إلا أنه فشل بذلك بعد انفجار ثورة السوريين في عام 2011، وباتت حكاية السوريين في متناول الباحث المجتهد والساعي من أجل إنتاج معرفة بما يجري على الأرض السورية.

يندرج مشروع "مدن في الثورة" في هذا الإطار، إطار محاولة إنتاج معرفة تتسق مع مجريات الأحداث في سوريا عبر السنوات الخمس الماضية، ومن أجل ذلك تم اعتماد أساليب ومنهجيات معرفية مختلفة. بداية تم اختيار مجموعة من المدن المستهدفة بالبحث، وفيما بعد تم وضع مخطط بحثي خاص في كل مدينة، من أجل أن يرسم خطوات العمل. وللحصول على المعلومات حول كل مدينة من هذه المدن تم تشكيل فريق عمل ميداني، تقوم مهمته على جمع المعلومات وتسجيل الشهادات.

المصدر الرئيسي للمعلومات، كان شهادات تمّ الحصول عليها وتسجيلها من قبل ناشطين كانوا مشاركين في الأحداث أو على مقربة كافية منها، وتم فيما بعد تفريغ هذه الشهادات وتبويبها وجعلها صالحة للاستخدام البحثي. والمصدر الثاني للمعلومات كان المراجع المكتبية والالكترونية بما فيها مقاطع الفيديو، والتي تمّ مشاهدة عدد كبير منها وتسجيل الملاحظات، واعتمادها كإحدى المصادر الثانوية. بعد جمع المعلومات عن كل مدينة، تم مقارنة جملة هذه الروايات مع عدد من المصادر، ومن ثم اعتماد الرواية التي كانت أقرب إلى إجماع الشهود.

بعد الاستماع إلى الشهادات وتصنيفها، وجمع المراجع بمختلف أشكالها، تم المباشرة في تحرير مادة البحث، والتي اعتمدت بشكل أساسي على المصادر الحصرية التي جمعها الفريق الميداني، بينما أتت المراجع المكتبية والإلكترونية من أجل تدعيم هذه المعلومات، أو لكي تسد ثغرة فيها.

وفي كل الأحوال، لا نستطيع عبر عملنا هذا، الادعاء بالحيادية والموضوعية المطلقة، فالفريق القائم على العمل منحا منذ البداية إلى ثورة الشعب السوري، وجميع الشهود الذين تم الاستماع إلى شهاداتهم هم من المعارضين الجذريين لنظام الأسد، ورغم ذلك سعينا بقدر ما استطعنا إلى معالجة، ومن ثم عرض ما توصلنا إليه من حقائق بأقصى ما يمكن من موضوعية تفرضها خطوات البحث العلمي.

ويبقى أن نلفت الانتباه إلى أن مشروع "مدن في الثورة" لا يدعي تقديمه للحقيقة كاملة، كما أننا واعون إلى أن جهودنا هي جزء يسير تدرج في سيرورات إنتاج معرفة بالحراك الثوري السوري بشكل عام، سعينا من خلاله إلى محاولة سد ثغرة، ولو طفيفة، في رصد وتوثيق مجريات الأحداث التي تضج بها سوريا عبر السنوات القليلة الماضية.

وإن كان لا بد من توجيه رسالة شكر، فنود أن نقدمها إلى شهودنا الشجعان، والذين لم ييخلوا لا بوقتهم ولا جهدهم في سردهم لساعات طويلة لحكايتهم، وحكاية مدنها الثائرة ضد الطغيان. لهم ولجميع من ساهم في إنجاح هذا المشروع، نحن مدينون بالشكر.

فريق العمل

صبر درويش

باحث وصحفي سوري، عمل في مجال الصحافة والعمل البحثي، ساهم في إعداد كتابين، "تجربة المدن المحررة" الصادر عن دار الريس 2015، وكتاب "مآسي حلب الثورة المغدورة ورسائل المحاصرين" بالتعاون مع الصحفي والروائي اللبناني محمد أبي سمرا، الصادر عن دار المتوسط 2016.

محمد ديبو

باحث وكاتب سوري، يرأس تحرير موقع "حكاية ما انحكت"، ويعمل محرراً في صحيفة العربي الجديد. صدر له: في الشعر (لويخون الصديق، 2008، منشورات دمشق عاصمة الثقافة العربية)، وفي القصة (خطأ انتخابي، 2008، دار الساقى/بيروت)، وصدر له شهادة عن تجربته في الاعتقال والثورة السورية، بعنوان (كمن يشهد موته، دار بيت المواطن/2014) وقد ترجمت للإيطالية. كما لديه كتب مشتركة مع آخرين، وأبحاث عديدة في مجال الاقتصاد والطائفية والدولة والمجتمع المدني.

مدن في الثورة

منذ منتصف مارس آذار عام 2011 والمدن السورية تخضع لديناميات عالية من التغيير والتحويلات، والتي نالت من جملة التكوينات الاجتماعية المحلية وحتى من بيئاتها الجغرافية. وبقدر ما تبدو السيرورات الثورية في المدن السورية المختلفة متشابهة وتتقاطع في العديد من النقاط والتفاصيل، إلا أن الدراسة العيانية لكل مدينة على حدى، تظهر التمايزات والخصوصيات التي تجعل لكل مدينة سورية حكايتها وتفصيلها الخاصة، وهو أمر من الصعب الكشف عنه من دون الغوص في تفاصيل الحكاية.

جاء مشروع "مدن في الثورة السورية"، ليروي الحكاية ويجعلها بمتناول الباحث المجتهد والساعي لإنتاج معرفة (بحث، فيلم، إنفوغرافيك، حلقات إذاعية) بما يجري في المدن التي كانت ميدان بحثنا (السلمية، القامشلي، دير الزور، بانياس، درعا، الزبداني): كيف خرجت أول مظاهرة؟ من قام بها؟ وكيف تعامل الأمن معها؟ وكيف تطور الحراك من الداخل حتى وصل ذروته ثم انحساره، ولم انحسر؟ ومتى سقط أول شهيد؟ ومتى تم التفكير بالسلح، ولم؟ وأية دوافع دفعت الناس لحمله لاحقاً؟ ودور العوامل الخارجية؟ وما هي مجموعات المجتمع المدني والكتائب العسكرية التي تشكلت في هذه المدينة، وما هو الدور الذي قام به كل منها؟ وكيف انحسر المكون المدني لصالح الإسلامي في بعض المدن؟ وكيف ولد الإرهاب؟ وكيف حال المدن الآن؟

لتحقيق ما سبق، تم وضع مخطط بحثي خاص لكل مدينة ليرسم خطوات العمل، ثم تم اختيار مجموعة مجتمع مدني موجودة داخل المدينة، وحين تعذر ذلك، تم تشكيل فريق عمل ميداني، مهمتهم الأساس جمع المعلومات وتسجيل الشهادات وتصويرها مع النشطاء الذين كانوا مشاركين في الأحداث أو على مقربة كافية منها، ليتم تفريغ الشهادات وتبويبها، لتكون المصادر الأساسية لعملنا، فيما كان المصدر الثاني المراجع المكتبية والالكترونية بما فيها مقاطع الفيديو، والتي تم مشاهدة عدد كبير منها وتسجيل الملاحظات، واعتمادها كإحدى المصادر الثانوية.

بعد جمع المعلومات عن كل مدينة، تم وضع كل ما سبق بين يدي: (1): الباحث الذي أنتج بحثاً علمياً معمقاً، مكتوباً بصيغة الحكاية، بعد أن قارن الشهادات المجموعة من قبلنا مع عدد من المصادر، ليعتمد الرواية التي كانت أقرب إلى إجماع الشهود. (2) المخرج: الذي أنتج فيلماً عن كل مدينة. (3): مجموعة عين التي أنتجت إنفوغرافيك يسرد بطريقة رقمية إحصائية أهم الأحداث، ويوثق أغلب

المجموعات المدنية والعسكرية التي تشكلت. (4) الإذاعة: التي أنتجت حلقات إذاعية عن كل مدينة، إضافة إلى الصور والشهادات القادمة من تلك المدن.

في عملنا هذا، لا ندعي الحيادية والموضوعية المطلقة، فالفريق القائم على العمل منحاز منذ البداية إلى الثورة السورية، وجميع الشهود الذين تم الاستماع إليهم من المعارضين لنظام الأسد، ورغم ذلك سعينا بقدر ما استطعنا إلى معالجة، ومن ثم عرض، ما توصلنا إليه من حقائق بأقصى ما يمكن من موضوعية تفرضها خطوات البحث العلمي، دون أن ندعي تقديم الحقيقة كاملة، فنحن جزء من كل، يسعى لسد ثغرة، ولو طفيفة، في رصد وتوثيق مجريات الأحداث التي تضح بها سورية.

ختاماً، لأبد من توجيه رسالة شكر، إلى شهودنا الشجعان، الذين لم يبخلوا بوقتهم أو جهودهم في سردهم لساعات طويلة لحكايتهم، وحكاية مدنهم النائرة ضد الطغيان. لهم ولجميع من ساهم في إنجاح هذا المشروع، نحن مدينون بالشكر.

مشروع مدن في الثورة ممول من قبل منحة ابتكار من مؤسسة Canal France International والاتحاد الأوروبي.

حكاية ما انحكت

سيريا أنتولد - حكاية ما انحكت، هو منصة إعلامية تهدف بشكل رئيسي إلى رواية قصص الانتفاضة السورية، عن طريق تسليط الضوء على النشاطات الاستثنائية التي قام بها السوريون منذ بداية الانتفاضة في آذار 2011، حيث يقوم بجمع المعلومات التي تقع ضمن حيز العصيان المدني، والمقاومة السلمية الإبداعية وتنسيقها، ليكون مرجعاً للعمل المدني في سوريا.

موقع "حكاية ما انحكت" منذ بدايته في عام ٢٠١٣، عمل على تأطير وتنظيم الكم الهائل من المعلومات المتعلقة بالانتفاضة، عوضاً عن أن يكون مجرد موقع ناقل بشكل آلي/ ميكانيكي لما يحدث في سوريا. الموقع يسعى إلى تحويل إبداع الحراك السلمي وصانعيه، من واقعهما الحالي كقصص مهمشة وجانبية، ليكونا في مركز المشهد، ومرتكز الانتفاضة السورية.